قوله واراد بنداءه قصد الارادة لان النداء هو قوله رب فيلزم عطف الشيء على نفسه لولا تقدير الارادة وقيل
قوله ونادى نوح ربه مجمل وما بعده تفصيل له وحق التفصيل ان يكون عقيب ذكر الاجمال لكان له وجه قوله
فانه او حاله لم ينج فيكون النداء بعد غرق ابنه طلبا للحكمة في عدم نجاته مع انه كان قد وعده بان ينجي اهله و
يجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه لان لو ولا يدل على الترتيب والمقصود من النداء طلب نجاته واختار المص ان يكون
هذا النداء بعد الغرق لما سبق من انه عم نادى ابنه قائلا يا بني اركب معنا وانه امتنع عن الركوب
معهم فحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم ذكر من نجاة المؤمنين باستقرار السفينة على الجودي
ثم ذكر بعده هذه الاية فهذا الترتيب يدل على ان نداءه ربه في حق ابنه وقع بعد غرق الابن ولانه قد تقدم انه
كان قد نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل
الغرق يستلزم سؤال النجاة لابنه مع انه قد نهي عنه وارتكاب المنهي عنه معصية فلا يعرض في حق الانبياء اي
مع علمه بكفره لانه عم امره بالركوب في السفينة ونهاه عن مصاحبة الكفار فامتنع من الركوب واختار صحبة الكفار
وهذا يدل على كونه كافرا لان سؤال الامتناع عن الركوب لا يستلزم الكفر لجواز ان يكون الامتناع عنه لكراهته
الاحساس في السفينة فان قيل فكيف جوز المص ان يكون نداء الرب قبل غرق الابن وقيل انه طلب منه
ان يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استدفاع العذاب عن ابنه الظالم فالجواب ان المنهي عنه هو المخاطبة
باستدفاع العذاب عمن علم انه من الظالمين وهو انما سأل النجاة في حق ابنه وهو عالم بكفره فان الاستثناء
من سبق عليه القول انما يدل على ان في اهله من هو غير ناج ولا يدل على انه هو ابنه فان قيل هب انه لا يعلم
كفره حال ندائه ربه فقد علم به بعده بقوله تعالى انه ليس من اهلك الاية فكيف جاز له ان ينادي ابنه بعده
قائلا له يا بني اركب معنا طلبا لنجاته مع علمه فالجواب انه عم امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد
الغرق والاهوال العظيمة حان له ان يرجع عن الكفر ويقبل الايمان فيسارع بالركوب في محبة ابيه الايمان
ومجانبة الكفار والاشتراك معهم في الكفر والضلال والنجاة مع المؤمنين بالدخول في محل النجاة مع ان هذا السؤال
على تقدير ان يكون نداء الابن متفرع على نداء الرب ويكون نداء الرب بعد الغرق بان يقال [illegible]
ان يركب مع المؤمنين وينجو من هذا الكافرين والمحال الا ان امة نوح عم كانوا ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن
يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافر هو الغرق وكان ذلك معلوما و
اما اهل النفاق فبقي حكمهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون
للاب في حق الابن تحمله على حمل اعماله وافعاله [illegible] على الوجه الصحيح فلما رآه يمتنع من الركوب و
طلب منه ان يدخل السفينة فقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء [illegible] لا يدل على كفره لجواز ان يكون امتناعه من الدخول لكراهته
الاجتماع في السفينة ولظنه انه يصعد على الجبل يجري مجرى الركوب على السفينة في الصون من الغرق [illegible]
لا يلبث [illegible] طالبا

منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبره
كان بانه منافق وانه ليس من اهل دينه فالقول الصادق عن نوح عم هو عدم استقصائه في حرف ما يدل على
ابنه وكفره قوله لانك اعلم الحكام واعدلهم لكونه كان افضل الحاكمين في العلم وفي الحكم وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام
واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة
حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع قوله فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة فيه كما وصفه على العمل الصالح
فان الرجل اذا كثر عمله وكرمه انه عمل وكرم قالت الخنساء [illegible]
ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي مقبلة على الجنان ومدبرة عنه وهي من كثرة الاقبال
والادبار كانها نفس الاقبال والادبار قوله ثم بدل الكلام بغير الصالح جوابا عما قال ان اثبات الفساد
للعمل ونفي الصلاح عنه متلازمان فلم اوثر الكلام على الاول مع انه اخصر وتقرير الجواب ان الصلاح
صفة اهل نوح وكانه نفى عنه صفتهم الصالحة اذ اعلم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه صريحا
ان صفتهم هي التي كانت سبب نجاتهم لا كونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا
الا ان التصريح بالمعنى اولى واقرب الى الفهم قوله وقرأ الكسائي ويعقوب عمل على صيغة الفعل الماضي
وغير منصوب على انه نعت لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح من الشرك والكذب والباقون
عمل بفتح الميم وتنوين اللام ورفعها على انه اسم وقع خبر ان وغير بالرفع على انه صفة للمرفوع قوله
نزل له على الحال وهي ان ابنه ممن سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدم له الوعد
بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول كان عليه ان يتفحص ان في جملة اهله من هو مستوجب
للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان نجاتهم شبهة حين شارفه ولده الغرق في انه من
المستثنين وهم الذين سبق عليهم القول لا من المستثنى منهم وهم اهله الذين وعد بانجائهم فلذلك جعل ما
اشتبه عليه مما يجب ان لا يشتبه عليه وجعل سؤاله ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود
اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فانه وان كان لا يعرف قبل ورود الوعد بانجاء اهله مع
استثناء من سبق عليه القول ان ابنه ليس من اهله ربنا الا انه كان يجب ان لا يشتبه عليه الحال بعد
ورود الوعد المذكور ومشارفة ابنه العذاب فكان سؤال نجاة الكافر مع دعاء [illegible] جهلا
قوله وقرأ ابن كثير فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة على جعل الفعل متصلا
بياء المتكلم بل اكد بنون التاكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام
وتشديد النون المكسورة من غير اثبات الياء بعدها وبرواية ورش عن نافع فلا تسألني باثبات
الياء بعدها [illegible]
[illegible] ثم انه تعالى لما قال فلا تسألن ما ليس لك به علم

Copyright © King Saud University